

دنيا القصص

١

رامز وقصص أخرى

محمد سعيد العامودي

السيرةالذاتية

محمد سـعيد العامودي (1323-1411هـ/1904-1991م)

كاتب، مفكر، محرر صحفي.

ولد في مكة المكرمة، وتخرج في مدرسة الفلاح. عمل في التجارة، ثم شغل عدة وظائف إدارية، منها رئاسة ديوان التحرير بمصلحة البريد والبرق العامة. شغل بالإدارة العامة للحج إدارة ورئاسة تحرير مجلة الحج، وظل بها حتى عام 1391هـ.

اختير عضواً بمجلس الشورى، وظل به حتى آثر التفرغ للعمل الصحفي والأدب، وأضيفت إلى عمله بمجلة الحج إدارة ورئاسة تحرير مجلة رابطة العالم الإسلامي، إلى أن تقاعد عنها في سنة 1398هـ بناء على طلبه، وقد أشرف على رئاسة تحرير جريدة صوت الحجاز لفترة قصيرة بالإضافة إلى عمله في البرق والهاتف.

شارك ضمن وفد وزارة المعارف في الدورة الثقافية التاسعة للجامعة العربية المنعقدة في سنة 1374هـ، وقام برحلات عمل عديدة أثناء عمله الوظيفي والصحفي إلى كل من القاهرة وتونس والجزائر وإيران.

نشرت له مجلتا المقتطف والهلال المصريتان كثيراً من إنتاجه.. كما فاز بالجائزة الأولى في مسابقة مجلة الهلال المصرية عام 1352هـ لأحسن قصيدة.

كان عضواً في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة التي كان يرأسها الشاعر إبراهيم ناجي.

شارك بكتاباته في أغلب الصحف والمجلات المحلية وفي بعض المجلات والإذاعات الأجنبية. وقد عُرف بإتقانه في مراجعة الكتب، وجمع عمله هذا في ثلاثة مجلدات، وصدرت بعنوان: "من حديث الكتب.[1] "

(1) - أخبار العالم الإسلامي ع1205 (1411/8/4هـ). وله ترجمة في: شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب 159/1، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين 234/2، ومعجم مؤرخي الجزيرة العربية ص88-89، وأدباء سعوديون ص433-455، البعث الإسلامي مج 36 ع4 ص100، الحرس الوطني س15 ع38 (شعبان 1414هـ)، الفيصل س17 ع200 (صفر 1414هـ)، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر والخامس عشر 233/4-240 .

من آثاره العلمية:

-رامز وقصص أخرى -الرياض: دار الرفاعي، **1403**هـ. **66**ص. -(دنيا القصص؛ **1**).

-المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر/عبد الله مرداد أبو الخير (اختصار وترتيب بالاشتراك مع أحمد علي). -الطائف: النادي الأدبي، **1398**هـ، 2مج. ط2. متقنة ومجودة. -جدة: عالم المعرفة، **1406**هـ، **641**ص.

-من أوراقي. -جدة: تهامة للنشر، **1404**هـ، **135**ص. -(الكتاب العربي السعودي، **96**).

-من تاريخنا. -ط3، منقحة ومزيدة. -الرياض: دار الأصالة، **1401**هـ، **299**ص.

-من حديث الكتب. -الطائف: النادي الأدبي، **1399**هـ، **348**ص. ط2. -جدة: تهامة للنشر، **1403**هـ، 3مج. -(الكتاب العربي السعودي؛ **77**).

-من رباعياتي. -الرياض: المؤلف، **1401**هـ، **113**ص.

رامـــز[2]

نشأ يتيماً فقد مات أبوه؛ وهو لما يزل طفلاً لم يجاوز عامه الأول، وتوفيت أمه وهو في الثالثة من ســـنيه؛ وكان خاله –وليس له من يكفله ســـواه– يتولى جميع شـــؤونه؛ ويرعاه طول أيام هذا العهد السـعيد: عهد الطفولة الســاذجة الغضَّــة.. والحق لقد كاد يكون عهد طفولته ســعيداً وســعيداً من كل الوجوه.. لولا أن الظلم من شــيَم النفوس –كما يقول الشــاعر العربي– ولولا أن من ســجية الزمن أن يقسو ويقسو؛ في أغلب الأحيان؛ وأن يتصرف ويتصرف بشيء كثير من الحرية والانفراد بالمصاير والحظوظ.

كان أمين بك –وهو خال هذا الطفل اليتيم رامز– رجلاً طيب القلـب؛ متين الأخلاق؛ يملأ قلبـه الإيمـان الخـالص والبر والعطف والحنان؛ ولم يكن هذا العطف وهذا الحنان محدودين يخص بهما ابن أخته وطفله الوحيد (رامزاً) فحســب؛ وإنما كان شــاملاً عطف هذا الشيخ الكريم وحنانه وبره للجميع؛ وبخاصة أتراب رامز من أطفال

([2])- صوت الحجاز: 1355/11/27هـ.

البلدة؛ لقد كان رامز سعيداً بخاله كل السعادة؛ وكان المتصلون بهذه الأسرة من قريب أو بعيد؛ يحسون بذلك؛ وكانوا يعجبون له.. وكانوا يسرون له كل السرور؛ كانوا يسرون لهذا النوع من أنواع الحياة وأنواع البر والحنان والعطف؛ وكانوا يغبطون هذا الطفل اليتيم المحبوب بما حباه به الله في ظل خاله الرؤوم من سعادة الطفولة؛ بعد أن شاءت الأقدار حرمانه من عطف أبويه.

*** * ***

ويشاء الله أن يتزوج أمين بك –للمرة الثانية طبعاً– بعد أن قضى عهداً من عهود العزوبة لك أن تقول عنه إنه عهد طويل.. ولك أن تقول العكس.. لقد كانت عزوبة أمين بك طويلة وجد طويلة بالقياس إلى الفلسفة العملية للناس؛ ونظرتهم للحياة.. وكانت هذه العزوبة قصيرة وقصيرة جداً بالقياس إلى الفلسفة الخاصة لأمين بك.. لقد كان الرجل ألوفاً؛ وكان صورة من الوفاء، وكان لموت زوجته الأولى في سويداء فؤاده من عميق الآلام والشجون ما ظل يتجدد ويتجدد بتجدد الأيام والشهور والسنين.. وما ظل يحول

بينه وبين الإقدام على إعادة التجربة كما كان دائماً يقول كلما فكر في موضـــوع الزواج؛ أو على الأصـــح كلما فكر له في ذلك أصدقاؤه ومحبوه.

تزوج أمين بك إذن؛ وانضم إلى هذه الأسرة المتواضعة السعيدة عضو جديد من بنات حواء؛ وظل أفراد هذه الأسرة شهوراً عديدة والسعادة الكبرى ترفرف عليهم بجناحيها والصفاء الكامل يشملهم بظله الوارف الظليل شـــأن كل زواج في بداياته الأولى، وبالأخص حينما يبرز (كيوبيد) في الميدان.. ويمثل دوره الخطير.. ويلعب لعبته المعروفة.. ويقذف بسهامه المشهورة.. على طريقته الخاصة: طريقته التي كلها لباقة؛ وكلها ظرف؛ وكلها إغراء!

* * *

بدأ رامز منذ أن ولدت زوج خاله (ســهام) طفلها (نعيم) يشــعر بالغيوم.. بدأ يلاحظ هذا النفور الظاهر في كل حركة وســـكنة من حركات وســـكنات تلك الزوج؛ بدأ يشـــاهد هذا الازدراء الذي أصــبحت توجهه إليه في كل اللحظات؛ وعند كل المناســبات؛ بل

بدأ رامز يحسُّ بهذا البغض الشـــديد الذي يحمله نحوه قلب تلك المرأة؛ وكانت صدمة الألم في نفسه تجاه هذا الانقلاب بالغة منتهاها العنيف..

أما خاله فقد كان بنجوةٍ عن كل هذا؛ لأن ما كانت تتظاهر به زوجه أمامه؛ وما كانت تتصـــنعه من حب زائف؛ وعطف مكذوب نحو رامز الوديع؛ وما كان يخفيه رامز عن خاله من مظاهر الانقلاب الجديد وقد كان يعاني من جرائه كل عســف وقســوة وألم؛ كان كل ذلك حائلاً بين خاله وبين أن يعلم الأمر الواقع؛ وأن يواجه الحقيقة المرة؛ وأن يكتشف السر الجديد!!

استمرت المرأة فيما بدأت فيه من ظلم وعسف وكَيْد؛ واستمر رامز فيما آلى نفسه عليه من صبر وجلد وكتمان؛ وإذن فقد استمر رب الأســرة وكبيرها.. اســتمر خال رامز فيما كان عليه من جهل بحقيقة ما هو كائن في داره.. تلك التي كانت فيما مضـــى وكراً للسعادة؛ ومرتعاً للصفاء!

كان رامز قد دخل في العقد الثاني من حياته؛ وكان قد عرف في مدرســـته الابتدائية بأنه من أوائل الممتازين؛ ولذلك كان مدير مدرسته وأساتذته جميعاً يشـملونه برعايتهم الخاصـة؛ وينظرون إليه بغير النظر الذي ينظرون به إلى سواه من التلاميذ العاديين.. وليس غريباً فقد ورث رامز عن أبويه كل ما كان يبدو عليه من مخايل النجابة والذكاء.. وكل ما كانت تتسم به سيرته من سمات الاستقامة والاتزان؛ ورث عن أمه حسـاسـيتها وحزمها وذكاءها.. وورث عن أبيه متانة خلقه؛ وصبره وجلده؛ ونظرته الواقعية للأشياء.

وأراد الله أن يفجع هذا الفتى بخاله ومربيه الوحيد؛ لقد مات أمين بك على أثر مرض قصـــير؛ وإذن فقد خلا الجو الآن.. وإذن فقد آن أن يشف ثوب الرياء عما تحته؛ وأن تنتزع سهام من يدها ذلك القفاز الحريري الناعم الذي ظلت تخدع به زوجها طيلة هذه الســنين، حيث أعلنت ســهام عداءها الصـــريح لرامز؛ وأخذت تعامله لا باعتباره فرداً من أفراد هذه الأســـرة له ما لها وعليه ما

عليها؛ بل كانت معاملتها له أبلغ في الشـــدة والعنف مما لو كان خادماً للأسرة وخادماً حقيراً منبوذاً.

ويأبى رامز أن يتحمل كل هذا الشـــقاء. وبعبارة أصـــح كل هذا الضـــيم؛ وكل هذا الهوان؛ فالشـــقاء يهون أمره؛ والشـــقاء يمكن احتماله.. ولكن الضيم والهوان أمران لا يقيم عليهما إلاّ الأذلاء!

غادر رامز دار خاله إذن؛ وصـادف ذلك هوى في فؤاد سـهام؛ بـل لقـد فكر هـذا الفتى البـائس في أن يغـادر حتى بلـده الـذي لم يعرف حتى ذلك اليوم غير أرضـــه أرضـــاً؛ وغير سمائه سماء؛ ولكن مدرسـة رامز تأبى ذلك.. مدرسـة رامز تأبى أن يغادرها هذا الطالب النجيب؛ فما هو إلاّ أن قررت هيئتها الإدارية قبوله في القســـم الداخلي للمدرسة مجاناً وبصورة استثنائية.

وتمر السنون سراعاً؛ فما هو إلاَّ أن يفوز رامز بالشهادة الثانوية؛ وهي الشـــهادة النهائية للمدرســـة؛ وكان أول الناجحين جميعاً.. وعملاً بالنظام الداخلي لمدرسته فيما يختص بأوائل الناجحين، فقد ابتعث رامز إلى إحدى كليات الخارج لإكمال الدراســـة العالية

والتخصص في فن من الفنون. وبعد سنوات قضاها رامز في دراسة الطب فاز بالشهادة النهائية.. وما هو إلاّ أن يعود إلى وطنه مرفوع الرأس، مثلج الفؤاد، مرتاح الضمير، تبسم له الحياة، ويرمقه المستقبل المجيد!

أصبح صيت الدكتور رامز ذائعاً في بلدة.. وهي خلاف بلدته الأولى التي نشأ بها.. واشتهر بعطفه على مرضاه. وبخاصة الطبقات الفقيرة البائسة من هؤلاء، فقد كان يحوطهم بعنايته، وكان يذهب بنفسه لمعالجة من لم يستطع الوصول إلى عيادته منهم، يذهب إلى دورهم معالجاً ومواسياً، ومستفسراً، يذهب إلى دورهم ليقوم –كما كان يرى ذلك– بواجبه نحوهم كطبيب وكإنسان يقوم بواجبه كطبيب من ناحية الفحص والعلاج، ويقوم بواجبه كإنسان من ناحية أخرى، ناحية أعمق، وهي ناحية المواساة الإنسانية، وكثيراً ما كانت تصاحب هذه المواساة الإنسانية مواساة من نوع آخر..

* * *

في ليلة من هذه الليالي الكثيرة التي تمر على رامز الطبيب، كانت السـاعة الثامنة عربية؛ والناس جميعاً نائمون، جاء غلام إلى دار الدكتور يدعوه بحرارة وألم ويأس، إلى الذهاب معه لمعالجة أمه التي أصـبحت منذ يومين تعاني أمر الأهوال من اشـتداد وطأة الداء.. ذهب الدكتور رامز مسـرعاً مع الغلام الحزين فإذا هو في حارة ضيقة مظلمة.. وإذا هو في وسط دار صغيرة متهدمة أقرب إلى أن تسمى كوخاً من الأكواخ.. وإذا هو أمام المريضة البائسة يفحصها ويعاينها..

يا للموقف الرهيب!

لقد وقف الدكتور رامز وجهاً لوجه أمام تلك التي لم تخنه ذاكرته بعد عما كانت تمثله نحوه من الأدوار.. رأى الدكتور رامز نفسـه أمام زوج خاله سـهام تلك التي لم تحسـن إليه قط في يوم واحد من أيامها الماضية؛ بل كانت مواقفها كلها سلسلة إساءات إليه حينما كانت تتحكم في دار خاله أمين بك كما يتحكم الدكتاتور!

رأى رامز نفســه أمام تلك المرأة الجبارة.. وما كان يدور في خلده قط أنه ســيقف منها هذا الموقف؛ بل ما كان يظن أن هذه المرأة التي أساءت إليه واضطرته إلى الفرار من دار خاله ومربيه؛ ما كان يظن أنها تعيش الآن في نفس البلد الذي يعيش فيه؛ أنها قد انتهت إلى هذه الحال من البؤس والشقاء.

في هذه اللحظة توالت في ذهن رامز كل الذكريات؛ وتجمعت في وسط حشاه كل إحساسات الألم الشديد؛ وكل عواطف الإحسان النبيل.. حقاً لقد تألم رامز أمام هذا المنظر الأليم؛ وحقاً لقد تألم رامز لهذه النهاية المريرة التي وصــلت إليها ســهام؛ وقد كانت هي يوم أن كان هو في عداد البائســين؛ لا تعرف ما هو البؤس؛ ولا تعلم ما هو الشقاء!

ولم يستطع الطب أن يصنع شيئاً؛ فقد كانت المريضة على فراش الاحتضــار؛ وكانت تعاني ســكرات الموت في تلك الدقائق التي أبى القدر إلاّ أن يكون رامز حاضراً فيها.. وما هي إلاّ ثوانٍ معدودات حتى لفظت سهام نفسها الأخير.

* * *

بعد ســت ســنوات من هذا التاريخ، كان الطالب نعيم نجل أمين بك وأحد أفراد أســرة الدكتور رامز، يطلب العلم في إحدى كليات الطب الشــهيرة على نفقة عميد الأســرة طبعاً؛ وكانت نفس الكلية التي تلقى دروســـه فيها ابن عمته رامز؛ ذلك الطبيب العصـــامي العظيم؛ والذي كانت شهرته ملأت سائر أنحاء البلدة؛ وأصبح اسمه على كل لسان!

الميـــراث[3]

بلغ (قاســـم أفندي) ما يطلقون (عليه الســـن القانونية) في عالم التوظيف والموظفين. و (قـاســـم أفنـدي) هـذا هو أحـد كبـار مســتخدمي الحكومة في الحجاز في أواخر العهد التركي، وقد أُحيل هذا الموظف الكبير القديم إلى التقاعد ليحل محله في خدمة الدولة من يكون أقوى منه على القيام بأعباء هذه الخدمة، وأقدر على تحمل مسؤولياتها ممن لم يبلغوا تلك السن ولما يزالوا في دور الكهولة أو في دور الشباب.

وفي الحقيقـة، لقـد جنى القـانون أيمـا جنـايـة على هـذا الموظف الكفء النشـــيط، وما أكثر جنايات القانون؛ ولو أنها في الغالب؛ ليست عمداً وليست بسبق إصرار.. فعلى الرغم من بلوغِ (قاسم أفندي)، حقيقةً، سن الستين؛ وهي سن الإحالة على المعاش، فإنه لم يزل إلى ذلك التاريخ شاباً بكل معنى الشباب؛ مِلءُ نفسه الفتوة والقوة، وملءُ جسـمه الحيوية والنشـاط. لقد كان أقوى على القيام

(3) - المنهل ذو القعدة 1356هـ.

بأعباء عمله الحكومي، وأقدر على تحمل مسؤولياته الجسام من كثيرين من الشباب؛ دعْ عنك ما أفادته إياه تجارب السنين من خبرة ونضوجٍ وما أكسبه مرانه الطويل في شتى الأعمال من حنكة قلَّما تُتاح لمن هم دونه في السن من الشبان الأقوياء.

ومن حسن الحظ، استطاع (قاسم أفندي) أن يجمع خلال خدمته الطويلة للحكومة، (قليلاً من المال)، ولم يكن هذا القليل إلاّ من متوفر راتبه ليس إلاّ؛ لقد كان (قاسم أفندي) حقاً إنساناً (على الفطرة) إن صح هذا الوصف في مثل هذا المقام؛ لم يكن يعرف هذا الموظف النزيه، أو بعبارة أخرى، لم يكن يستبيح لنفسه مورداً –كموظف– سوى راتبه الذي يتقاضاه في نهاية الشهر، أمَّا ما عدا ذلك مما قد يُتاح أحياناً لأمثاله، فقد كان (شذوذ) قاسم أفندي في إبائه تناول أي شيء من هذا القبيل، مِمَّا يدهش –إلى حد بعيد– كثيراً من معاشريه.

وفي المعاش الذي أصبح يتقاضاه، بعد أن أُحيل إلى التقاعد ما يكفيه لتأمين احتياجاته كلها، وإذن فما أخَلقه بعد أن أدَّى واجبه

العملي في الحياة، وبعد أن منحه (قانون الدولة) حق الاستراحة والعيش في ظلال السكينة والهدوء، وبعد أن أصبح لديه من المال المتوفر ومن معاش تقاعده ما يكفيه لتأمين تلك الاحتياجات، ما أخلقه بعد كل هذا أن يستجيب لكل هذه الدواعي.. وأن يظل في البقية الباقية له من العمر مرتاحاً هادئاً، بعيداً كل البعد عن هذا العناء الذي لا مخلص من أن يتكبده العاملون جميعاً وعن هذه الضجة التي لا مفر لهم من أن يخالطوها ولو كانوا لها كارهين.

وصاحبنا إذ يفعل ذلك لا يأتي أمراً بدعاً، بل هو يحذو فيه حذو جميع إخوانه المتقاعدين. لكن قاسم أفندي الشاب؛ الذي جنى عليه القانون بإحالته على المعاش قبل الأوان. قاسم أفندي هذا يأبى إلاّ أن يواصل جهوده العملية على الرغم من إباحة القانون له أن يستريح ولِمَ لا يعمل؟ ولِمَ لا يستمر في عمله إلى ما شاء الله وقد منحه الله القدرة على ذلك؟

ويُظهر هذا الموظف القديم العهد بالرسميات، أروع الأمثلة على أنه في الميدان التجاري: ميدان (عمله الجديد)، لا يقل عن أمهر

رجاله مرونة وكفاءة ونشاطاً. لم يكن رأسماله فحسب ذلك (القليل من المال) الذي انتهى إليه بعد أن انتهى من تأدية رسالته الأولى.. بل كان (رأس ماله الآخر) طموحه وإرادته ومرونته ونشاطه ثم أولاً وأخيراً استقامته التي كانت لدى جميع عارفيه مضرب الأمثال.

هذا النجاح المرموق، هذا النجاح الذي ما فتئ يرافق على الدوام هذا الموظف القديم والتاجر الكبير منذ أن خاض معمعة الحياة شاباً وكهلاً وشيخاً هذا النجاح السعيد ما كان أجدره حقاً أن يجعل من حياة هذا الرجل واحة خضراء مملوءة بأفانين السعادة والهناء ولا يكدرها أي ألم أو شقاء.

لكن الحياة.. الحياة لا مناص فيها من الألم، ولا محيص فيها من الهم، ولا مندوحة فيها من الشقاء، وقاسم أفندي الرجل الناجح الموفق السعيد، لا بد أن يتألم، ولا بد أن يبتلى بشيء من الفشل والإخفاق، ولا بد أن يشقى، وهو إذ يشقى إنما يشقى بأقرب الناس إليه، بابنه (سليم) الذي لم يشأ القدر أن يكون شبلاً من ذلك الأسد.. وأن يرث أي خصلة من خصال أبيه، وأن تُجدي

نفعاً معه شتى المحاولات في سبيل إصلاحه، ثم في سبيل تعليمه، وأخيراً في سبيل تدريبه وإعداده لأن يكون رجلاً.. ومن ثَمَّ ليحل محل أبيه يوماً ما في إدارة أعماله الواسعة التي لم تكن لولا عصامية هذا الأب شيئاً مذكوراً.

كان سليم هذا ذكياً ولكنه نشأ في أحضان الدلال، وترعرع في ظل الرخاء وشَبَّ على عقيدة أنه من أبناء الأثرياء الذين لهم من ثراء أهليهم، وما سيصل إليهم من ميراثهم، إن عاجلاً أو آجلاً، مندوحة عن هذا الهم الذي يفرضه عليهم التعليم؛ فما أكثر ما حاول له أبوه أن يستمر في المدرسة الرشدية، وهي المدرسة الحكومية الوحيدة في مكة في عهد الأتراك، ولكنها محاولات كانت كلها عقيمة، وأبى سليم إلاّ أن يثور على العلم، على أبيه، ومن ثم على محاولة من محاولات إصلاحه وتقويم إعوجاجه، فما هو إلاّ وقد أخذت أحواله تسوء وتسوء، كنتيجة محتومة لهذه الثورة الرعناء، وما هو إلاّ أن أضاف إلى (الجهل) (سوء الأخلاق).

كانت البيئة في ذلك الوقت، هي العامل الأول في هذه النهاية التي انتهى إليها سـليم، فقد كانت روح التعليم أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، كان الأكثرون من الناس –إلاّ من شـذَّ– ينظرون إلى أي تعليم بنفور واشمئزاز، ويكاد يكون من العيوب الفاضحة في محيط المتمولين أن يبعثوا بأبنائهم وفلذات أكبادهم إلى دُور العلم، لأن معنى ذلك الاحتياج إلى توظيف هؤلاء الأبناء، وهم أنأى الناس عن هذا الاحتياج..

لم يكن قاسـم أفندي طبعاً من هذا الطراز، ولم يكن ممن يحملون هذه الفكرة الخاطئة عن التعليم وعن العلم، ولذا كان تفكيره مختلفاً، وحاول أن يفعل غير ما كانوا يفعلون غير أنه أخفق في ذلك، واندفع ابنه مع تيار البيئة الجارف، لأن تأثير هذه البيئة كان أفعل في نفسه من تأثير أبيه..

* * *

وحُم القضاء وجاء اليوم الموعود، وانتقل (قاسم أفندي) إلى رحمة مولاه، وتحقق ما كان ينتظره سـليم، إذ آل إليه ذلك (الميراث العظيم) الذي طالما كان به من الحالمين.

ولو أن الجهل وحده كان الداء الذي مُني به سـليم وكفى، إذن لكان ميسـوراً له أن يهيمن على هذا الميراث هيمنة من يسـتطيع المحافظة عليه، وأن يدير أعمال أبيه بمنتهى السـهولة التي يديرها في مختلف الأعمال التجارية كثيرون من أمثاله ممن حرموا العلم وعاشوا في عداد الجاهلين، لكنه الجهل مضـافاً إليه (أخلاق الضـعفاء) من جبن وخور وتردد، ومن صغار في النفس، وسقوط في الهمة، وركود في الضـمير، ومن ضـعف في العزيمة وفقدان للإرادة، وعدم القدرة على مواجهة أي صعوبة من الصعوبات، أو تحمل أي مسؤولية من المسؤوليات، ولا تنْسَ ما ساقه إليه ميراثه وما ساقه إليه فراغه، وما ساقته إليه أخلاقه من انغماس في حمأة اللذة، وتورط ما بعده تورط في أخلاق السوء والفساد.

كل هذه الأدواء التي أُصيب بها سليم، كانت كفيلة بأن تهلك الحرث والنسل وأن تقضي على ذلك الميراث خلال سنوات معدودات.

لم يستطع سليم بعد أن أضاع ما وصل إليه من مال غير قليل، أن يعيش في عهده الأخير موظفاً على الأقل، كما كان أبوه يعيش في عهده الأول، لأن ما تتطلبه الوظيفة من مؤهلات لم يكن متوفراً لديه.

قال محدثي:

وكان الزائرون لمنزل (..........) أحد الوجهاء المعروفين منذ نصف قرن يرون على الدوام في إحدى الغرف المجاورة لمدخل ذلك المنزل (إنساناً متهدماً) يحمل من مظاهر الشيخوخة الفانية ما يبعد به كل البعد عن سن الشباب الذي لم يجاوزه بعد، ذلك هو (سليم قاسم) طاهي المنزل... بل ذلك هو ربيب النعمة والثراء الذي كان في عهد من عهوده التي توالت مع الماضي القريب، من كبار الوراث المعدودين.

ذكــرى[4]

أَرستقراطيُّ الأسرة..

ولذا كان في المدرســـة على الرغم من توقد ذكائه، وشـــدة حساسيته، لا يمتاز أمثاله من ذوي الحساسية والذكاء. بل كان – شأنه شأن أكثر أبناء الذوات أو أبناء الأسر الأرستقراطية– تلميذاً متوسطاً، لا هو بالمتفوق النشيط، ولا هو بالمتأخر الكسول.

ويشاء الله أن ينتهي هذا التلميذ المتوسط من سني دراسته المقررة في تلك المدرســـة، ويفوز بشـــهادة النجاح، ويخرج لكي يبدأ من جديد حياة الدراســـة الأخرى، حياة الدراسة العملية في مدرســـة الحياة.

ولكنه لم يكن من أولئك الممتازين الأوائل، الذين تخطبهم وظائف الحكومة في بعض الأحيان، ولســـوء حظه كان المتفوقون عليه كثيرين، وكانت النتيجة أن زاد العرض على الطلب –كما يقول

(4) - المنهل ربيع الثاني 1357هـ .

الاقتصاديون– ولم يبق لأخينا محل شاغر يعمل فيه، وكانت النتيجة الأخرى أن تقدم عليه زملاؤه في تلك الوظائف وتأخر هو.. أو بعبارة أخرى بقي حيث كان.

لقد كان أرستقراطي الأسرة!

وإذن، فليس هو في كبير حاجة إلى أن يبحث له عن عمل آخر، وإلى أن يغامر في ذلك الميدان الرحيب الفسيح، ميدان الأعمال الحرة، ويجاهد مع سواه ممن غامروا فيه.

وهكذا، فهو يظل قابعاً في دار أبيه، مكباً في بعض الوقت على مطالعاته في الأدب وغيره، ومنشغلاً، أو على الأصح شاغلاً نفسه في الأوقات الأخرى باستقبال من يرتادون تلك الدار من ضيوف أبيه، وضيوفه هو أيضاً والقيام بما يجب في مثل هذه الأحوال من المجاملات، وتبادل الأحاديث والنكات مع أولئك الضيوف. ولكنه شديد الحساسية كما علمت. ثم هو يرى زملاءه الكثيرين، يسيرون، ويتقدمون وإذا بهم وقد أصبحوا أصحاب أعمال يشار إليهم بالبنان، وإذا بالبعض منهم وقد أصبحوا ماذا؟ أصبحوا في

قائمة الشخصيات التي يسميها الناس (الشخصيات البارزة)، ومعنى ذلك أنهم أصبحوا من أولئك الرجال المشهورين في ذلك البلد الذي يعيش وإياهم فيه.

الشهرة الشهرة ذلك السراب الخدّاع، الشهرة على اختلاف أنواعها، ذلك ما كان يحلم به فتانا، هذا الغضّ الإهاب، شهرة العلم، شهرة الأدب، شهرة السياسة، شهرة العمل الناجح في ميدان الاقتصاد، شهرة التقدم على الأقران في معترك العمل الحكومي، إلى آخر هذه الأنواع.

وصاحبنا لغرارته وسذاجته، أو لذكائه وحساسيته، لا أدري صاحبنا هذا مفتون بذلك البريق الكثير اللمعان، ذلك البريق الذي يتلألأ دوماً أو على التحقيق يبدو أنه يتلألأ في رأي الأكثرين حول هذه الأنواع من الشهرة، هو مفتون جداً بأن يكون شهيراً، في الأدب أو في العلم، أو في السياسة أو في أي شيء، مفتون جداً بالشهرة ومحروم منها، مفتون جداً بأن يلحق بأولئك الزملاء السعداء، أو الذين يظن في قرارة نفسه أنهم سعداء.

ولكنه حيل بينه وبين ما يتمناه.

لشـــدّ ما حاول أن يعمل لكي يكون كأصـــحابه أولئك، ولكي يغدو رجلاً ناجحاً في الحياة –كما كان يقول– أو من أولئك الأشـــخاص البارزين، ولكي يفوز بقلادة الشـــهرة. ومن ثم لكي يكون إنساناً سعيداً في عداد السعداء.

ولكنه أرستقراطي!

وأرســـتقراطيته هذه كانت تحول على الدوام بينه وبين تحقيق ما يريد.. كانت توحي إليه في كل وقت بأن ليس ســـوى (الوظيفة) طريق أصلح للوصول إلى ما يطمح إليه من شهرة ومجد.

* * *

ويحس إحساساً شديداً جداً بما هو عليه من سوء الحال وسوء المصير.. ويزداد إحساسه هذا شدة بتوالي الأيام، وتنتابه الهموم والآلام، وينتابه المرض أيضاً بل المرض الوبيل الفتّاك، المرض الذي يصاحبه الإهمال وعدم الاكتراث وعدم العمل على استئصاله والقضاء عليه في درجاته الأولى، وإذن فهو فريسة هذا المرض

العضال، ولا بد من أن يتحمل هموماً أخرى، وآلاماً أخرى، أشد فتكاً به من تلك الهموم الأولى، وتلك الآلام الأولى.

وكانت نوبات المرض العضال تشتد عليه تارة؛ وتشتد حتى يمكث الأسابيع بل الشهور تلو الشهور وهو حليف الوسادة، طريح الفراش ثم تخف عنه طوراً آخر وتخف حتى ليوشك أن تزول كل أعراض ذلك المرض الوبيل، ويشعر هو بذلك، يشعر بأنه قد أصبح سليماً معافى، فحدث ما شئت عن السعادة الكبرى التي تملأ فؤاده على أثر هذا الشعور.

في تلك الليلة، التي لا يمكن أن يزول ما أبقته في النفس من أثر أليم ومن شعور حزين؛ في تلك الليلة جاءني هذا الفتى المريض الصحيح،يزف إليّ تلك البشرى، بشرى قبوله موظفاً وتعيينه في إحدى البلدان النائية واعتزامه السفر على الفور إلى مقر عمله، لكي يباشر القيام بما أسند إليه من مهام.. ولكي يستأنف منذ الآن حياة أخرى، حياة فيها جد وعمل، لا حياة كلها كسل وفراغ،

ولكي يبدأ منذ الآن في تكوين نفســـه، وفي تحقيق أحلامه الذهبية الكثيرة؛ أحلامه الطويلة العريضة في الشهرة والسعادة والنجاح.

في تلك الليلة، كان صاحبنا سعيداً جداً، كان نشيطاً بكل معنى النشاط صحيحاً بكل معنى الصحة، متفائلاً بكل معنى التفاؤل، وناظراً إلى الحياة –لأول مرة– بمنظار آخر جديد، خلاف ذلك المنظار الحالك الســواد الذي تعود كثيراً أن ينظر به إليها؛ في تلك الليلة كان صاحبنا سعيداً كل السعادة، وإلى جانب ذلك كان أيضاً متألماً كل الألم، ولعلّك ســتعجب من هذا التناقض الغريب، ستعجب كيف يتألم صاحبنا بعد أن بسمت له السعادة، وبسم له الحظ، وفتح له باب تحقيق آماله الواســعة وأحلامه الكثيرة على مصراعيه!

أمَّا أن صاحبنا سعيد كل السعادة، فلن نقول عن ذلك شيئاً بالطبع، وأما أنه متألم فلأنه سيسافر للمرة الأولى من بلده، ومرتع صباه، سيغادر للمرة الأولى دار أسرته التي نشأ فيها وترعرع بين جنباتها، وعاش فيها طفلاً وصبياً ثم شاباً ثم ماذا؟.... إنه سيترك

للمرة الأولى أمه وأباه وهما أقدس من يحمل لهم في قلبه الحساس عواطف الحب والاحترام والوفاء، وسيترك أيضاً أختيه الصغيرتين وهما من كانتا خير أنيس له في تلك الدار، وسيترك للمرة الأولى أيضاً أصدقاءه الكثيرين، أولئك الذين كان يودهم ويودونه، وكان يخلص إليهم ويخلصون إليه.

لقد كان صاحبنا متألماً جد الألم لكل هذه الأسباب، ولقد كان كما علمت حسَّاساً مفرطاً في الإحساس، أهذا هو دائماً سر ألمه؟ وهذا هو سر عذابه وهذا هو سر شقائه المستديم.

في تلك الليلة كان صاحبنا يبكي أمامي أشد البكاء، لقد كان هذا منه أمامي لأول مرة، بل –كما علمت فيما بعد– لأول مرة في حياته الماضية، تلك الحياة المفعمة كلها بأشد أنواع الألم والشقاء.

ما أروع تلك الليلة النابغية، وما أروع ذكراها، لقد كانت ليلة بشرى وليلة صفاء وليلة وداع، وكانت ليلة آمال طوال عراض، وفي الوقت نفسه كانت ليلة ألم وبؤس وشقاء.

وسافر صاحبنا على بركات الله، وباشر عمله بمنتهى الرغبة والشوق والأمل والنشاط، وكانت رسائله طيلة السنوات الثلاث التي أمضاها هناك مستمرة لأصدقائه العديدين مبشرة لهم على الدوام باستمراره صحيحاً معافى، سليماً من أعراض دائه الأول، ذلك الداء الخبيث الذي تأكدوا في النهاية بأن زواله الأخير كان زوالاً نهائياً إلى حيث لن يعود.

* * *

قال محدثي:

وفي ذات يوم، بينما كنَا نتسلَّى بقراءة إحدى الجرائد المحلية، ولم يكن يخطر في بال أي أحد منا أي شيء يتعلق بذلك الصديق الحميم النائي؛ لأنا كنا في أحسن حالات الاطمئنان عليه، وكانت آخر رسائله لصديقه (ف) وردت منه في صباح ذلك اليوم.

بينما كنا نتلهى بقراءة أخبار تلك الصحيفة إذا بنا وقد اعترانا جميعاً شيء من الوجوم، لم نتعرف في تلك اللحظة الرهيبة مداه.. يا لها من لحظة رهيبة رائعة قاسية، بل من صدمة عنيفة ارتجفت لها

القلوب لأنها لم تكن على اســـتعداد لمواجهتها، أجل لقد كانت مفاجأة مؤلمة، ممعنة في الإيلام، حينما تلونا في تلك الصــحيفة نعي ذلك الصــــديق النائي الذي كان قبل يومين اثنين يكتب كعادته إحدى رسـائله لأحد أصـدقائه ولم يكن يعلم أنها سـتكون رسـالته الأخيرة.

لقد مات الصــديق النائي بعد أن عاد إليه داؤه الأول، ولم يرحم له شــباباً غضــاً ولم يرحم له أهلاً وأصــدقاء، فجعوا جميعاً بموته العاجل على غير انتظار.

وختم محدثي كلامه قائلاً:

لا أزال –يا عزيزي– كلما استعرضت ذلك الماضي الحي لذلك الصديق النادر بين الأصدقاء، تمر بخاطري في مقدمة ذكريات ذلك الماضــــي، تلك الذكرى الأليمة، تلك الذكرى الرائعة. ذكرى ليلة الوداع.

مأسَاةُ أمّ [5]

ها هو العيد!

أجل يا أماه ها هو العيد قد أصبح قريباً منا.. وها هم "الأولاد" يتحدثون كل يوم عن العيد السـعيد، وها هو "محمود" زميلي في المدرسة قد أراني ما أحضره له أبوه من فاخر الثياب. "ثوباً حريرياً" قال لي إن قيمته عشـرون ريالاً، وإحراماً مطرزاً قيمته ثلاثون، و "حذاء جميلاً لامعاً" ما أخبرني عن قيمته بعد، ولكنها لا تقل هي الأخرى عن العشرين، أو الخمسة والعشرين فقد كنا نلعب، وكان معنا "إبراهيم" ابن أحد الجيران، وكان يقول إن حذاءه الجديد قد فرغ منه الصانع بالأمس، وقيمته خمسة وعشرون ريالاً، أرسله بها أبوه إلى الصانع... وأنا يا أماه...!

وأنا يا أماه.. قالها ذلك الابن في حرارة وحيرة وأمل، وأصـغت إليه الأم التي أعياها النطق وحبس لسانها الألم المكبوت، وسرعان

(5) - المنهل رمضان 1365هـ.

ما ترقرقت من عينيها دموع، حاولت عبثاً أن تخفيها عن وحيدها الحبيب، ولكن لا مناص!

ورأت نفسها أمام سيل من الذكريات.. ها هو الماضي يمر أمامها كأنه حلم، كان زوجها بالأمس يحمل عنها أعباء الحياة، وكان يؤدي في مثل هذه الأيام البهيجة من شهر رمضان الكريم، مهمته المحببة إليه.. مهمته التي يتولاها في إخلاص أصيل كل زوج، وكل أب، يشعران من الصميم بمعنى الأبوة ومعنى الحنان!

إنه فلم.. ويا له من فلم رائع، كان بالأمس صورة للسعادة، فأصبح اليوم صورة للشقاء، وكان في عالم الحس رمزاً للفرح، وعنواناً للرجاء، فأصبح في عالم الذكريات مثاراً للألم المضني، ومبعثاً لليأس المميت.

كانت كمثيلاتها من الزوجات الفارغات، لا تحمل أي تفكير يمس العيش من قريب أو بعيد، وكانت المسؤولية أنأى الأشياء وصولاً إلى الرأس الذي تحمله هذه المرأة، وعلام تفكر؟ وفيم تجعل من نفسها إنساناً مسؤولاً وقد بسم لها الحظ ما شاء له أن يبسم،

وأصــارت لها المقادير من زوجها "حســان" زوجاً مثالياً، يحمل عنها –على أحســـن الوجوه– كل مســـؤولية وكل تفكير، ويؤدي لها – كأجمل أداء– ما يتطلبه "البيت" من مختلف الشؤون!

والآن ماذا.. لقد أصــــبحت هذه الحقائق في خبر كان، وانطوت مع أيامها الذاهبات، لقد مات زوجها تاركاً لها هذا الابن في التاسعة من سنيه، وتاركاً لها قليلاً من المال، ما لبث أن ذهب هو الآخر أيضاً، صرفته في الشهور الأولى التي أعقبت الوفاة.

وقد شاء القدر أن يرحمها ويترفق بها، فاستطاعت أن تحمل عبئها الجديد ولكن في شـــيء من الضـــيق، كانت تحترف لوناً من ألوان التطريز، هُديت إليه من أيام الصبا، فها هي اليوم تعود إليه!

هو ذا مورد للرزق الحلال، يســـد الرمق، ويضـــمنُ الخبز، ولا يتجاوز الضروريات!

هو ذا مورد متواضع، يكفل الغذاء، ولكنه يعجز عن الكساء!

وغلب التجلد، الحزن، وعاد للأم التي هدها الألم، وأضـــنتها الذكرى، تفكيرها الطبيعي، واتزانها العاطفي، وعزمها الصـــميم،

واستجابت لإحساس الطفل في وله وتأميل، راحت تحدثه أطيب الحديث.. أحمد. أحمد "ثوب من الحرير" (إحرام مطرز) (حذاء) كل هذا سيأتي مع العيد.. كل هذا سيحضر إليك تماماً تماماً كمحمود وإبراهيم.

كلمات معسولة أرسلتها إرسالاً، ووعود لا أقل ولا أكثر وكأنما أُلهم الطفل ما في هذه الكلمات من إبهام وغموض، فألقى بنفسه في أحضان أمه الحيرى، يسألها في إلحاح ممض، أصحيح يا أماه؟ أصحيح هذا الذي تقولين؟ أصحيح أني سألبس كما يلبس محمود وإبراهيم؟ أصحيح يا أماه؟ ولماذا لا تحضرين ذلك الآن؟ لماذا لا توصين ذلك الصانع بعمل الحذاء من اليوم؟ أجل يا أماه، لقد قال لي إبراهيم إنه ذهب إلى الصانع مراراً، وبعد عشرين يوماً استطاع أن يتسلم حذاءه الجميل، وأنا أخشى.. أخشى يا أماه أن يأتي العيد قبل أن نتحصل على المطلوب.

–أحمد. أحمد. (ثوب من الحرير) (إحرام مطرز) (حذاء لماع) كل هذا سيأتي مع العيد كل هذا سيحضر إليك تماماً تماماً كمحمود وإبراهيم.

نفس الكلمات راحت تكررها الأم في إغراء وابتسام؛ ونفس الوعود حاولت بها أن تُلهي وليدها وهي فيما يشبه اليقين بأنه عما قريب سينسَى كل هذا ينسَى الثوب والحذاء والإحرام، ينسَى محموداً وإبراهيم وغير محمود وإبراهيم من أتراب المدرسة ورفقاء الحارة وأبناء الجيران.

لكن الطفل –وللطفولة في كثير من الأحيان نوع من الفهم، يتحدى المنطق، ويتخطى الكلمات– لم يستطع أن يلهو أرادت له أمه أن يلهو، وهو بعد لا يمكنه أن ينسَى ما أصبح كل همه ومتمناه.. وكيف ينسى وها هو العيد قد أصبح على الأبواب، كيف ينسى وغداً –بكل تأكيد– سيأتي إليه كل من رفيقيه، في تيه ما بعده تيه، يزهوان أمامه بملابسهما العيدية الجديدة، وهي وحدها في نظر الأطفال، رمز العيد السعيد..

ولم تجد الأم الشـــقيةُ بدّاً من الإفصـــاح، وقد برح بها شـــجنها المكظوم، وأرهقها تهافت الغلام وأفنى عليها إلحاحه المثير، لم تجد بدًّا من أن تبوح.. وقد ذهبت بها همومها المتخافتة كل مذهب. وأحست لأول مرة، بأنها أعجز ما تكون بياناً، أمام المنطق الساذج، منطق الطفولة في براءتها وطهرها وما أروعه من منطق ســـاحر غلاّب، يتلاشَـــى أمامه في اســـتحياء، منطق الختل والخداع، منطق اللف والدوران..

أحمد أحمد أنت تريد لباساً جديداً، ولكننا يا بني لا نستطيع هذا الآن، لأن "الفلوس" التي معنا يا أحمد أوشـــكت أن تنفد، وموردنا الجديد ضئيل.. لا يكفي إلاّ للطعام والشراب فاصبر أيها الحبيب كن مطمئناً لا تنظر إلى إبراهيم أو إلى محمود هذان لهما أبواهما.. وأما نحن.. وأما أنت فقد أراد الله.. لنا –وإرادته لا ترد– أن نفقد أباك في وقت نحن أحوج الناس فيه إليه، نحن الآن نكتفي بالطعام، وبالضـــروري من اللباس، وأما ما عداهما فلنا عنه مندوحة، في هذا الظرف على الأقل، فكن واثقاً كل الثقة مؤمناً كل الإيمان بأن حالنا هذه لن تدوم، وأن الله الذي لا يَنسَـــى أحداً من خلقه، ســـوف لا

ينســـانا، ســـوف يتغير كل شـــيء يا أحمد.. وســـوف يحلو العيش ويطيب، وأخيراً سوف تنعم بأفخر اللباس، عند كل عيد جديد.

–سمعت كلامك يا أمَّاه.. ولكن آه. اسمعي مني، هؤلاء الأولاد ســوف يســخرون مني، هم من الآن يتهامســون وأحياناً يقولون لي: أنت يا أحمد ليس عندك فلوس تبتاع بها الثياب، آه يا أماه لا أريد أن يقولوا هذا، لا أريد أن يســـخروا مني، لا بد من اللباس، لا بد من تدبير الفلوس ها هو خالي عيّاد ألا يمكن أن تســـتديني منه ما تبتاعين به هذه الثياب، أرجوك يا أماه، وإذا لم يوافق خالي أو لم توافقي أنت فأنا سـأشـتغل.. سـأشـتغل كما يشـتغل سـائر الناس سأشتغل لإحضار الفلوس، سأشتغل لنبتاع ثياب العيد، سأشتغل يا أماه، وهذا أفضــل من أن أدع الأولاد يســخرون مني ويتهامســون ويقولون ما يقولون.

–دعك من هذا الكلام يا بُني، هؤلاء الأولاد لا يسخرون، إنهم فقط يضحكون، إنهم فقط يلعبون.. الصغار لا يعرفون السخرية.. دعك من هذا الكلام، وأمَّا خالك "عيَّاد" فهو لا يسـتطيع ما تريد

وإن هو استطاع فأكبر الظن أنه سيرفض منا هذا الطلب شأنه في هذا شأن سواه من الناس في هذا الزمن الذي نعيش فيه.

–لا بأس يا أمَّاه ولكن ما رأيك في أن أشتغل لإحضار الفلوس؟ إني خالٍ من الدروس ومن اليوم إلى أن يأتي العيد وإلى أن تفتح المدرسة يمكنني أن أشتغل في أي عمل كان ويمكنني تدبير ما يكفينا لشراء الملبوسات أليس كذلك يا أماه؟

–لا، لا يا أحمد اصرف عنك هذه الأفكار، الشغل يحتاج إلى أشياء أنت منها خالي الذهن؛ يحتاج إلى سبق تمرين، وأنت ما زلت تلميذاً في الابتدائية ومن كان في مثل هذا الدور خليق به أن لا يحسن أمراً من هذه الأمور؛ والشغل أيضاً يحتاج إلى مجهود وأنت ما برحت طفلاً صغيراً لا تقوى على أي عمل، فدعك من كل هذا، واصبر فإن الله مع الصابرين.

–إني صابر يا أماه، ولكن الشغل الذي أستطيعه موجود وهو لا يفتقر إلى تمرين، ولا يحتاج إلى مجهود كبير، إنه شغل يقوم به الكثيرون من أترابي فلا يلقون منه العناء الذي تخشين، وهو شغل

أيام معدودات، مهما كان من بلائه، فلن يضيرنا شيئاً، فاسمحي يا أماه، اسمحي لولدك الصغير أن يشتغل.. يشتغل من أجل الفلوس، ومن أجل الملبوس.

قال الابن هذا، وقبل أن يتلقى من أمه أي جواب على عباراته الأخيرة، انفلت من أمامها في خفة وحماس، وما هو إلاّ أن خرج من باب الدار يعدو كما يعدو الغزال، وهناك حيث إحدى العمارات قد أوشكت على التمام، والعمال منهمكون في إكمال دورها الأخير... هناك وجد أحمد مكاناً له بين صغار العمال وبدأ بالعمل الذي أُسند إليه.

ولم تكن الأم راضية كل الرضى عن هذا الصنيع، فقد غمر نفسها إحساس غامض مريع، لم تستطع له تأويلاً، جلست وقد أحاطت بها الكآبة من كل جانب، لا تعرف ماذا تقول.. ها هو ولدها الوحيد وكله اندفاع يغامر في الحياة، ها هو يذهب إلى العمل، قبل أن يستمع إلى الكلمة الأخيرة من أمه الرؤوم، وهو في هذا إنما يعبر عن إرادة الحياة.. وبعبارة أصح عن إرادة "التفوق"

الكامنة فيه، وفي أمثاله من الصـــغار... إرادة "التفوق" يا لها من عصـا سـحرية.. إرادة "التفوق" حتى الكبار لم يسـلموا من هذه اللوثة.. حتى الكبار لم يسلبوا هذه الإرادة.. ولكنها في الصغار – وفي الصغار على الدوام– تبدو أعمق وأقوى وأصدق وأسمَى..

ذهب الصغير إلى العمل، وبقيت الأم مشدوهة حيرى، تضرب أخماساً في أسداس يرهقها إحساسها الغامض.. وراح القدر يعمل عمله الرهيب في ضبط وإحكام، وتلاحق وإسراع.

كان هذا أول أيام العمل، بل أول أيام الوجود، بالنسبة إلى هذا الصغير. وكان هذا أول أيام الحيرة، وأول أيام الشكوك بالنسبة إلى الأم الرؤوم. بالأمس فقدت زوجها العطوف، فاستطاعت أن تواجه "المصـاب" بقوة الأمل الحنون، أملها في فلذة كبدها كان لها كل العزاء.. والآن ماذا يخبئ لها القدر؟ رحماك يا الله.

كان هذا أول أيام العمل، فهل هو آخرها يا ترى؟

نعم كان هذا هو اليوم الأول، وكان هذا هو اليوم الأخير. وكانت المأساة.. وكانت الفجيعة.. وحدث ما لم يكن في الحسبان، ونفذ

القدر إرادته الجبارة.. تلك التي تقف أمامها أي إرادة للتفوق. أو أي إرادة لإثبات الوجود.. ولم ينقض ذلك اليوم الأليم حتى انقضَى معه أمل وتصـــــرمت فيه حياة وتجددت فيه أحزان وتهدمت الدار وهي في نظر أصـــــحابها أقوى ما تكون بناءً، وكان ماذا؟ كان فريق من العمال ضـحاياها وكان أحمد ذلك العامل الصـغير أول من رأته الأعين من هؤلاء.. أجـل هـذا الغلام الوحيـد بين فريق العمـال والبنائين، هذا الطفل الحســـــاس –وقد كانت تنتظره أم شـــذَّ عن إرادتها وخرج عن طوعها– إنه قد.. مات.

جَزاء [6]

كان كثيراً ما يتندَّر على زميله "أديب" في إدارتهما الحكومية، حيث يشتغلان معاً في قسم واحد، وفي عمل واحد بالتضامن إذا شئت، أو بالتناوب إذا شئت. وكان كثيراً ما يتحدث أعني "نسيباً" عن تخلف زميله المحظوظ. تخلفاً متوالياً في الدوام، وتخلفاً متوالياً في الإنتاج وفي كل مضمار.

وكان "نسـيب" هذا ابن وقته –كما يقولون– فهو لا يترك أية فرصة إلاّ ويستغلها أتم الاستغلال، وفي ذكاء عجيب، لحسابه الخاص، وعلى حساب من؟ على حساب الآخرين، من زملاء المصلحة في الأعمّ الأغلب ومن الأصدقاء وغير الأصدقاء كذلك، فأما حصة "أديب" من هذا الحساب الجاري باستمرار.. فقد كانت –ولا جدال– حصة الأسد، إن صح هذا التشبيه.

حدَث في إحدى المرات أن أطال أديب غيابه في إحدى إجازاته المرضية، وكانت خطيئته التي ارتكبها بحق أنه لم يقم كما يجب

[6] - المنهل 1366هـ .

بتجديد هذه الإجازة، وإذن فهي فرصة من الفرص جديرة بالاهتبال إن نسيباً وهو نموذج الرجال الذين يدينون بالفلسفة الواقعية في الحياة: هيهات أن يغفل أو ينام أو يفكر وهو ينشد الوصول إلى أهدافه العملية في أي عتب أو ملام.. وإذن فما كان منه إلاَّ أن يؤدي مهمته على أكمل الوجوه.. ها هو يشيع في الناس مختلف الأقاويل عن هذا الغياب وما يُخفي وراءه من أسباب.. أقاويل شتى وأسباب شتى، تُوجِد، أو هي قد أوجدت بالفعل من الحبة قبة.. أقاويل شتى وأسباب شتى، تحمل الجميع أو هي قد حملتهم فعلاً على أن يظنوا كل الظنون، في الزميل الغائب عن العيون.. وإذن فهو لن يعود وثُم ماذا بعد هذا؟

بعد هذا لا بد مما ليس منه بد.. لا بد من الرجوعِ إلى الروتين؛ لا بد من تطبيق المادة كذا والفقرة كذا؛ لا بد من عملية فصل تتلوها –بطبيعة الحال عملية– تعيين.

وكان "أديب" بالنسبة إلى هذه العملية واحداً من اثنين، بل كان أديب الهدف المقصود أو كبش الفداء..

ويأبى الله إلا ما يريد، ففي اللحظة الأخيرة عاد "أديب" من سفره الطويل وما كان سفراً طويلاً بالقياس إلى سواه، ولكنه كان سفراً طويلاً حقاً بالقياس إلى الجو الذي يحتويه، وإلى المحيط الذي قدر له أن يعيش فيه.

لم يكن "أديب" كما كان يصوره "نسيب" بالرجل الفدم، أو الرجل البليد، ولم يكن بالرجل الفاشل في عمله الرسمي، أو في أي عمل من الأعمال. ولكنه كان طيب القلب إلى حد السذاجة، وهذه هي إحدى أخطائه التي لا يد له فيها.. وكانت له جريمة كبرى في أحد الأيام، جريمة كبرى ارتكبها ضد القانون كما كان يقول.

كانت جريمة "أديب" هذه هي أنه في السنة التي تخرج فيها "نسيب" من مدرسته الثانوية وتطلع إلى أن يكون موظفاً، فما كان من "أديب" الساذج، الذي لم يقرأ في علم النفس أي شيء! أديب الذي لم يكن يفهم حينذاك من حقائق الحياة إلاّ قليلاً من قشورها وإلاّ ما تقوله الكتب.. ما كان منه أن يعمل ثم يعمل، ثم يعمل من

أجل ماذا؟ من أجل ترشيح نسيب للعمل الذي كان من حظه فيما بعد أن يؤول إليه.

وليس هذا ويتم الفصل.. بل إنه –وهنا سر الجريمة– لم يتردد في أن يلعب الدور الهائل.. الدور الذي يمقته كل المقت، ويزدريه كل الازدراء، لم يتردد أديب في أن يسير –وللمرة الأولى– على طريقة الوصوليين.. فهو يدس جواباً رأى أنه من أجوبة الاختبار الصعبة، يدسه بين أوراق نسيب وفي غفلة من الرقيب بعد أن لاحظ عليه أنه يتصبَّب عرقاً، وأنه كاد أن يصبح من الرسوب قاب ساعتين أو أدنى.

وقد كان أديب يسرُّ إلى أصدقائه دائماً أنها جريمته الوحيدة في الحياة من هذا القبيل، وكان يضيف بأنها لم تكن في الواقع إلاّ ضرورة من تلك الضرورات التي تبيح المحظورات.. أجل هي ضرورة من الضرورات يبررها أن هدفها كان إنسانياً محضاً.

وأخيراً يفوز نسـيب في الاختبار، ويرسب أولئك الآخرون التعساء، وما كان هو بأفضلهم وما كانوا هم بالراسبين لو أخطأ نسيباً نجاحه الموهوم.

أهي جريمة حقاً؟

قد يقول الناس جميعاً: "لا. ليست هذه جريمة!"

وقد تأتي الأخلاق هي الأخرى، فتقول أيضاً ما يقوله الناس!

ولكنها خطيئة على كل حال؛ خطيئة لا شك فيها من ناحية القانون على الأقل، نعم إنها خطيئة قد لا تضر القانون "موضوعاً"، ولكنها أضرته "شكلاً" وقد لا تمسه في الصميم، ولكنها مسته في الروتين.

هي خطيئة على كل حال مهما تكلفنا في تبريرها، وتحليل معاذيرها الإنسانية، أفتكون كفارته عنها أنه لقي في هذه الدنيا جزاءه عليها عادلاً؟ أم أنه لا يزال بعد يحسب في عداد الخاطئين، رغماً عما لقيه من جزاء، وما أمره من جزاء؟

أصدقاء الظروف [7]

المكان :منزل إحسان حماده أحد أشخاص المسرحية.

إحسان :أهلاً وسهلاً، أهلاً وسهلاً لقد شرفت يا أستاذ نزار بعد غياب طويل، وأنت يا أســتاذ زهير؛ أهلاً وســهلاً بك.. ولكن ألا تخبراني فيم غيابكما –على غير العادة– كل هذا الأمد الطويل؟

زهير :وأيضــــاً تســــأل؟ إنها عادتك هكذا دائماً.. هكذا دائماً وبسرعة تنسى أخطاءك يا أستاذ إحسان.

نزار :(موجهاً الحديث إلى زهير): لطيف جداً قولك له: "تنسَــى أخطاءك" وألطف من هذا أن تظن حقيقة أنه ينسَى الأخطاء..

إحســـان :على كل حال يســـرني أن أراكما.. وإذا كانت هناك أخطاء فأرجو أن تصفحا عن الأخطاء.

زهير :وهذه أيضاً إحدى وسائلك في التخلص من المأزق.

(7) – المنهل رجب 7466هـ .

نزار :من أجل أن نناقشـــك الحســـاب جئنا الآن.. وقد عرفت ماذا وراء الحساب، فما أسرع ما تخلصت!

زهير :إنه إحسان.. صديقنا اللبق.. صديقنا الذكي!

زهير :(بينه وبين نفســـه): إنه ماكر، شـــيطان، عبقري في الخداع ولكن ما العمل؟ نحن في حاجة إليه مهما كانت أخطاؤه لا تحتمل فلا بد من أن نتغابى..

زهير :(يعود موجهاً حديثه إلى إحســـــان): ما أذكاك.. بل ما ألطفك بل ما أعظمك إنساناً يعرف كيف يؤثر في الناس الآخرين..

إحسان :هذه سخرية واضحة يا زهير.

زهير :أنت تعرف زهيراً.. لا يقول إلاّ ما يعتقد..

نزار :(مقهقهاً) ولا يعتقد إلاّ ما يقول..

زهير :الحقيقة يا إحسان إنك الساحر العظيم!

إحسان :شكراً يا سيد زهير على هذا التأنيب..

زهير :(مخاطباً نفسه) يجب أن لا نمعن في تأنيبه.. إنه مغرور.. فما أسرع ما يعود إلى طبعه الأصيل الاستعلاء!

نزار :(بعد أن يلحظ إشارة من زهير) على كل حال نحن نعتب.. ومن واجبنا أن نعتب بل من حقنا أن لا تجيئا إلى هنا مطلقاً بعد أن..

زهير :أهكذا تقول؟

إحسان :نعم لأنه لم يكن لائقاً مني أن..

نزار :(بينه وبين نفسه) يظهر أنه أدرك فداحة ما ارتكبه من الخطأ.

إحسان :(مستمراً في حديثه) عندما جئتما في تلك الليلة للسمر كالمعتاد، وكنت منهمكاً في عمل مستعجل كلفت به يوم ذاك.. فقلت للخادم أخبرهما أني غير موجود.. وكنتما تفهمان العكس طبعاً فغضبتما وأنتما على حق في ذلك، ثم انقطعتما عن الحضور إلى هنا.. ثم تكرر مني الخطأ فلم أحضر إلى منزل كل منكما ولم

أعتذر.. وكان هذا أقل ما يجب علي.. فأي عذر أستطيع أن أعتذر به الآن؟

نزار :نحن يكفينا هذا يا أستاذ إحسان.

إحسان :ما من شك في أن حقوق الصداقة..

زهير :(مخاطباً نفسه) على رغم ذكائه.. فيظهر أنه مؤمن بالصداقة إلى حد أكثر من اللازم.

إحسان :ما من شك في أن حقوق الصداقة مقدسة.. وإن كنت أعجب، فمن أناس يكفرون بهذه الحقوق..

زهير :(بينه وبين نفسه مرة أخرى) أمره عجيب هذا الرجل.. إنه ذكي.. ما في ذلك ريب.. ولكن. لا. لا إنه ساذج.. أبداً.. أبداً.. لا يمكن أن يكون مثل هذا الرجل ذكياً..

إحسان :(مواصلاً حديثه) حقيقة يوجد كثيرون يكفرون بهذه الحقوق ومع ذلك، فهم يتظاهرون كما لو كانوا أخلص الأصدقاء.. ولكن متى؟.. عندما يبتغون من وراء هذا التظاهر مصلحة.. أو عندما يكون صديقهم الأوحد العزيز شخصاً مرموقاً في المجتمع..

أو شـخصـاً يسـتطيع أن ينفعهم إذا شـاء.. ويسـتطيع أن يلحق بهم الضرر إذا أراد.. وفي غير هذه الحالات.. فهم أبعد ما يكونون عن الصداقة والصديق..

زهير......:؟

إحســـــان :أنا أعرف كثيرين يا أســـــتاذ نزار.. كثيرين من هؤلاء الأصـدقاء في الظاهر.. هؤلاء الذين ما أجدرنا أن نسـميهم –دون أن نكون متجنين– أصدقاء الظروف!

نزار :تسمية في محلها لا شك.

زهير :هذا صحيح.. ولكن..

نزار :ولكن ماذا؟

زهير :هناك من يقول.. (يتردد قليلاً) هناك من يقول بوجوب أن نكون واقعيين.. وأنَّ الصداقة..

إحسان :يجب أن تكون نفعية.. أليس كذلك؟

زهير :لا.. لا.. ليس إلى هذا الحد..

إحسان :وإذن؟..

زهير :إلى حد يتفق مع فلسفة الواقع..

إحسان :ولكن ما علاقة فلسفة الواقع هذه بالصداقة؟

زهير :هكذا.. هم يقولون..

نزار :ضاحكاً.. هكذا يقولون، إنهم يقولون.. دعهم يقولون؟

إحســان :لا أظن.. لا أعتقد.. أن تنهار معايير الأخلاق إلى هذا الحد المهين..

زهير :ولكن.. ألا ترى أنه من الحكمة أن تكون "واقعياً"؟

إحســـان :وأنت ألا ترى أنه من التضـــليل أن تحاول الخلط بين الأمور.

زهير :أنا لست مضللاً..

إحسان :إذن ما دخل الفلسفة هنا؟

زهير..........:

إحسان :الواقع أن الصداقة شيء عظيم جداً، إنها أسمى من أن نزج بها في مجال المصالح أو مجال الفلسفات.. الصداقة عاطفة إنسانية من أنبل العواطف وألزمها للبشر.. أي إنسان يجرد نفسه من هذه العاطفة الإنسانية السامية.. فهو مخلوق تافه على أبسط التعابير.

نزار :الصداقة.. ولا أظن أنه يوجد من يماري في ذلك غاية في ذاتها.. وليست وسيلة..

إحسان :صحيح.. ما أكثرهم هؤلاء الواقعيين.. هؤلاء الذين يعنيهم الأستاذ زهير.. هؤلاء الذين ما أسرع ما يتقلبون.. وما أسرع ما يتنكرون.. وما أسرع ما ينسون أو يتناسون.. بمجرد أن يلحظوا أن مصلحتهم أو واقعيتهم تقضي عليهم بأن يحولوا الاتجاه.

إحسان :لكن.. ما هو الرأي الصادق –يا أستاذ نزار– في هذا الطراز من البشر..؟

نزار :كلمة واحدة فقط.. كلمة لا أرى أصـــدق منها وهي ما أطلقتها أنت على هؤلاء الناس كلمة واحدة من أصـح ما يمكن أن يقال.. وهي أنهم "أصدقاء الظروف" وحسبهم أنهم كذلك..

شيلوك الأخير [8]

شـيلوك –كما نعرف– هو بطل رواية "تاجر البندقية" للشـاعر الإنكليزي الأشهر وليم شكسبير.

وهو نفسـه بطل رواية "شـيلوك الجديد" للأديب المعروف علي باكثير.

وعلى رغم المئات من السـنين. لا يزال شـيلوك هو هو لم يتغير: الرمز الدائم البشع للأنانية والقسوة وسوء السلوك.

يجري الحوار هنا بين التاجر شـيلوك وسـكرتيره الذي عينه حديثاً ويشترك الخادم في جزء من الحوار:

شـيلوك :مخاطباً سـكرتيره وهو يقوم ويقعد ويرغي ويزبد في هياج مستمر: يا للخسارة الفادحة يا صديقي الأمين: إنها... إنها ثلاثون ألفاً عدًّا ونقداً؛ خسـرناها اليوم؛ يا للخسـارة! يا للمصـاب! أَبَيْنَ

---

[8] – البلاد السعودية 1266/8/25 هـ .

عشـــية وضـــحاها أخســـر كل هذا؟ رباه! رباه! أين المفر؟ أين الخلاص؟

شـــيلوك أيضـــاً :يخرج من الغرفة ثم يعود وفي يده دوســـيه: ربَّاه! ربَّاه! إنها ثلاثون ألفاً.. إنها ليســت ثلاثة ولا ثلاثون ولا ثلثمائة ولا ثلاثة آلاف.. إنها ثلاثون ألفاً تماماً.. ليت شـــعري هل أنا موجود؟ كانت كما حســـبناها صـــفقة من أربح الصـــفقات؛ لا.. لا.. بل كانت صـــفقةً اعتيادية لا أقل ولا أكثر؛ كانت صـــفقةً اعتيادية كأمثالها من ألوف الصـفقات.. ولكنها الآن ماذا أقول؟ لقد قُضـي الأمر؛ وانقلب الوضـع؛ وأصـبحنا أمام الشـر الذي لا بد منه؛ إنها الخسارة! إنه الفقر! إنه الإفلاس الشائن المريع!

السـكرتير :مشـدوهاً مندهشـاً –أيةُ خسـارة يا سـيدي هذه التي تتحدث عنها؟

شـــيلوك :يتقدم إليه الخادم بفنجان القهوة فيتناوله ثم يرده ثانياً: أية خســـــارة؟ أَلاَ تدري؟ عجباً إنه تجاهل ليس إلاَّ.. إنه هزل في موضع الجد! إنه...

السكرتير :صدقني يا سيدي إني لست بالمتجاهل؛ ولست بالهازل؛ صدقني إني لم أشعر بعد بأية خسارة ما..

شيلوك :حقاً! إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة!

السكرتير :متضاحكاً: وإن كنتُ أدري؟

شيلوك :فالمصيبة أعظم!

السكرتير :عجيب جداً يا سيدي هذا الذي تقول!

شيلوك :خسارتنا إن كنت لا تدري هي نزول الأسعار..

السكرتير :ولكن ما هو مصدر الخسارة ما دام أن نزول الأسعار هنا ناتج من نزول الأسعار هناك؟ وأين هي الخسارة ما دمنا نربح ولو قليلاً على كل حال؟

شيلوك :الخسارة؟ الخسارة هي أني قدَّرتُ فأخطأت التّقدير؛ وحسبتُ ربحاً معيَّناً قبل هذا النزول المفاجئ فأصبح هذا الربح سراباً في سراب..

السكرتير :لكنك رابح على كل حال؛ وما دام أن هنا ربحاً فالخسارة وحدها هي ذلك السراب..

شيلوك :هذا كلام؛ وعلى هذا الاعتبار فقط؛ على اعتبار أنه كلام أتقبله منك يا عزيزي السكرتير!

السكرتير :يتحرك من مقعده ويتقدم إلى سيده: مولاي ليس هذا كلاماً.. ثق يا سيدي أننا لم نخسر شيئاً أصلاً؛ وإليك الدليل – السكرتير يفتح دوسيه كان في يده– هذه فاتورة القيمة؛ وهذه وثائق الشحن، والسكورتاه؛ وهذه سندات الرسوم؛ مجموع كل ما فيها يا سيدي مائة وعشرون ألفاً؛ فإذا قارنا بين المجموع وبين أسعار البيع في هذا النهار؛ نجد أننا لم نخسر شيئاً أبداً؛ بل العكس نربح عشرين ألفاً..

شيلوك :مستمراً في هياجه –لا. لا. أبداً، أبداً، لا أصدق؛ لا أصدق أننا لم نخسر؛ هذه سفسطة.. هذا هراء.. إنها ثلاثون ألفاً؛ ثلاثون ألفاً خسرناها على التحقيق...

الســكرتير :يعود إلى مقعده في ثورة مكبوتة هراء؟ سـفسـطة؟ يا للمغالطة المكشـوفة لسـت أدري أين هي هذه الخسـارة؟ يتقدم إلى سيده ثانياً: مهلاً يا سيدي؟ قد يختلف الناس في كل الأشياء إلاّ في الأرقام.. إن 2+2= 4 لا يمكن أن تكون هذه الحقيقة محلاً لأي اختلاف؛ إنها لغة الأرقام وهل أصدق من لغة الأرقام؟

شــــيلوك :لغة الأرقام؟ وهل أفهم أنا غير لغة الأرقام؟ إنها لغة الحقائق! إنها لغة الوضــــوح! إنها أكثر من أن تكون لغة! إنها كل شيء في هذا العالم!

الســـكرتير :متحمســـاً ومبتســـماً: إذن اتفقنا يا ســـيدي أليس كذلك؟

شيلوك :اتفقنا.. هذا بلا شك.. إلاّ في..

السكرتير :إلا في ماذا؟

شــيلوك :إلاّ في هذه الخســارة؛ إنها الأمر الواقع الذي لا شــك فيه..

السكرتير :ألا يمكن عن طريق الإقناع أن نتفق في هذا؟

شـــيلوك :في هذه المســـألة؛ قد اتفقنا يا عزيزي على أن لا نتفق مطلقاً!

الخادم :يدخل: واحد من التجار حضر الآن يريد مقابلتكم.

شيلوك :من هو؟ أهو ذلك الذي كان جاءنا بالأمس يساومنا في بعض الأصناف؟

الخادم :هو يا سيدي بالذات..

شــــيلوك :قل له إني مشــــغول؛ وإذا كان لا بد من أن يعود؛ فليحضر بعد أسبوع.

السكرتير :بعد أن يذهب الخادم –إن الذي أذكره يا سيدي هو أنكم وعدتم هذا التاجر..

شــيلوك :وعدته بماذا؟ لعلّك تقصــد أن نوافقه على أن يبتاع منا ما اتفقنا عليه من الأصناف؟

السكرتير :طبعاً؛ وهل بعد الوعد إلاّ الوفاء؟

شـــيلوك :يقهقه في ســخرية ومرارة –أَتريد حقيقةً أن يكون ذلك بعد أن هبطت الأســـعار هبوطها المعلوم؟ لا. لا؛ هذا لا يمكن أن يكون!

الســـكرتير :وهل ينتظر يا ســيدي أن تعود الأســعار إلى ســابق عهدها؛ لكي يبتاع منك هذه الأصـناف؛ أو يبتاعها غيره بالأسـعار التي تبتغيها؟

شيلوك :سواء أعادت الأسعار إلى ما كانت عليه أو لم تعد؛ فأنا أصر على أن لا أبيع..

السكرتير :حينئذ قد تكون الخسارة مُحققة؟

شـــيلوك :حينئذ قد تكون أكثر من خســـارة.. ولكني لن أكون آسفاً!

الســــكرتير :يتمشَّـــى في الغرفة في جيئةٍ وذهاب –عجباً حينما تكون الخســـارة ناتجة عن وهم؛ ومن بنات الخيال تكون مصـــدراً للشــقاء النفســاني.. وحينما تكون أمراً واقعاً لا ريب فيه لا تكون موجبة حتى للأسف!

شيلوك :لا تكون موجبة حتى للأسف!

السكرتير :قد يكون هذا صحيحاً افتراضاً على الأقل؛ أجل قد لا يهمك أنت أن تخسـر حتى رأس المال؛ وهذا شـأنك الخاص.. ولكن أليس للناس قسـط من الحقوق في هذه الأشـياء؟ أليس لهم أن يعطوا منها بمقدار ما تسـتحقه من ثمن بدلاً من أن يُحرموا منها، وهل التجارة في معناها شـيئاً آخر غير هذا؟ هل التجارة سـوى أن يستورد التاجر لكي يبيع ما يستورده للناس بأسعاره الواقعية لا أن يسـتبقيه؟ والتاجر من هو أليس هو فرداً من أفراد المجتمع له ما للمجتمع؛ وعليه ما عليه؟ أليس من واجبه أن يتبادل النفع على أساس التعاون لا الاستغلال مع الأفراد الآخرين؟ وهب أننا فقدنا الإنصاف يا سيدي شيلوك؛ فأين الرحمة إذن؟ الرحمة التي هي في هذه الأرض طريق الوصول إلى الرحمة في السماء؟

شـيلوك :يطلب إلى الخادم كأسـاً من الليمون ويتضـاحك: ما أذكاك! وما أبلغك متكلماً؛ بل ما أعظمك فيلسوفاً.

السكرتير :ما أقوله يا سيدي هو الواجب الإنساني الأكبر والأنبل.. وهذا الواجب هو القاسم المشترك الأعظم بين كل من يحملون صفة الإنسانية؛ الرحمة.. الرحمة.. هي الينبوع الدائم للسعادة البشرية؛ الرحمة هي العلامة على وجود الضمير؛ الرحمة للجميع؛ ومن الجميع؛ وبين الجميع هي السياج الأول؛ وهي السياج الأخير!

شيلوك :الرحمة؛ ما هي الرحمة؟ أليست هي خوراً في الطبيعة كما قال ذلك أديب شهير من أدبائكم الأقدمين؟ طبعاً هذا كلام لم اقرأه أنا.. لأني أربأ بوقتي أن أضيعه هكذا.. كما تضيعونه أنتم؛ بين هذه الكتب الفارغة الجوفاء.. هذا كلام سمعتهُ كثيراً، وحفظته كثيراً؛ لماذا؟ لأني أراه من صميم الأدب؛ إن كان للأدب وجود في هذه الحياة!

السكرتير :يخرج من الغرفة منفعلاً بعد أن يعلن أنه تارك للعمل ويتمتم: الرحمة خَور في الطبيعة.. هذا هو كل الأدب الذي حفظه شيلوك!!



الشاعر بقلمه

• ولد بمكة المكرمة وتخرج من مدرسة الفلاح بها.

• عمل بوظائف كتابية وإدارية مختلفة.

• اختير عضواً بمجلس الشورى وظل به ثلاث سنوات، آثر بعدها التفرغ لعمله الصحفي حيث كان يقوم بإدارة ورئاسة تحرير «مجلة الحج» منذ عام ١٣٦٩هـ إلى نهاية عام ١٣٩١هـ ثم «مجلة رابطة العالم الإسلامي» من عام ١٣٩٢هـ إلى نهاية عام ١٣٩٨هـ

• صدر له من الكتب «من تاريخنا» طبع مرتين وستصدر له طبعة ثالثة. والجزء الأول من حديث الكتب. و «المختصر من كتاب نشر النَّور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» للشيخ عبدالله مرداد. حققه واختصره بالاشتراك مع الأستاذ أحمد علي.

محمد سعيد العامودي